المحاضرة 12 ...يتبع
أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا في العصور الوسطى

إن رسالة الإسلام جاءت للناس كافة تبين لهم الطريق القويم، وعبادة الله الواحد الأحد، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الرحمة المهداة، جاء لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، من اتبعه ظَفِر ومن عصاه خسر.

ولقد صاغ الإسلام الأمة العربية الإسلامية صياغة جديدة، فغير كثير من طبائعها ومثلها وقيمها، وعاداتها وتطلعاتها، فإذا بها تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، فإذا بها تخترق الحدود وتحطم الحواجز التي بينها وبين دولتي فارس والروم، وتهاوت أمام الزحف العربي الإسلامي، ولاحت بوادر حضارة مشرقة أخذ منها الغرب أصول بنائه الحضاري[1].

وحقيقة فالمسلمون كان لهم الاهتمام الأكبر بالعلم والمعرفة، وبذلك أسهموا مساهمة فعالة في رقي الحياة الإنسانية، بما توصلوا إليه من نتائج ذات أثر[2]، وقد كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية كبيرا على الغرب اللاّتيني خلال العصور الوسطى، إذ انتقلت كثير من المؤلفات العلمية الإسلامية في مختلف العلوم، التي ترجمت إلى اللغة اللاّتينية، وكانت تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات، وتؤخذ كمراجع رئيسية للحصول على المادة العلمية والمعرفية التي تقدم للطلاب في أوربا في تلك الحقبة، ولذلك تجد كثير من المستشرقين الذين يعترفون بفضل الحضارة العربية الإسلامية على المجتمع الغربي، وأن هذه العلوم والمعارف شكلت النواة الأساسية للفكر الأوربي[3].

ومن الحق أن نشير إلى أن المسلمين في بداية مشوارهم العلمي واشتغالهم به، وخاصة ما يتصل منه بالعلوم التجريبية والبحتة، فإنهم قد نظروا في علوم الأقدمين من اليونان والفرس والهنود وغيرهم[4]، فالمسلمون في القرنين الثاني والثالث الهجريين(الثامن والتاسع الميلاديين) قد اهتموا بترجمة العلوم القديمة وفهمها[5]. فالعباسيون كان لهم اهتمام بذلك، وقد ترجموها إلى اللغة العربية، فالخليفة المأمون(218-198ه/814-833م) كان من الأوائل الذين كانت لهم عناية خاصة بعلوم الأولين، فقد جند لها عددا من المترجمين وبنى لهم دارا خاصة سُميت ببيت الحكمة، وقد كان يرأسها سهل بن هارون ثم حنين بن إسحاق[6].

وفي تلك الفترة عندما كانت الدولة الإسلامية تحمل مشعل الحضارة في مختلف المجالات، حينها كان الغرب اللاّتيني يعيش حالة من الركود والتخلف الفكري والحضاري[7]، وحينما أرادت أوربا أن تزيل عن نفسها غبار العصور الوسطى المظلمة، ألتفتت إلى الحضارة

العربية الإسلامية لتنهل من رحيق علومها ومعارفها وفكرها، ولهذا عكف العلماء ورجال الدين على دراسة المؤلفات العلمية لعلماء المسلمين، أمثال ابن سينا والرازي والبتاني وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي والكندي والفارابي وغيرهم كثير[8].

وهذا التراث الضخم الذي خلفه المسلمون انبهر به المجتمع اللاّتيني[9]، فكانت هذه المؤلفات بحق المنهل العذب، الذي أقبل عليه طلاب المعرفة ينهلون من رحيقه[10]، وبما أن المسلمين قد استقروا في مناطق عديدة من قارات العالم القديم، آسيا وأفريقيا وأوربا، فقد شكلت كثير من الحواضر التي أقامها المسلمون هناك نقاط تماس بين المجتمعات، وخاصة الإسلامي واللاّتيني، وبذلك أصبحت المدن قبلة لطلاب العلم والمعرفة، ومنها انتقلت هذه العلوم إلى الغرب، ونذكر من هذه المنافذ الأندلس ومختلف حواضرها، وصقلية، بالإضافة إلى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.